﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

ثوابت

حَتَّى لا نغرق... في بَحْرٍ مِن وَرَق

تأليف

عمر عبد الله الحلبي

مكتبة لسان العرب

دار النهضة

المشرق للكتاب

ثوابت

حتى لا نغرق... في بحر من ورق

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

بغية العالم وخيرة الناشر

دار النهضة

للطباعة والنشر والتوزيع

سورية - دمشق - ص.ب ١١٢٧١

هاتف: ٠٠٩٦٣١١٢٢٢٠٩٥٧

جوال: ٠٠٩٦٣٩٣٧٢٣٦٨٤

www.nahdah.net

E-mail:info@nahdah.net

أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم

ثوابت علمية

حتى لا نغرق... في بحر من ورق

تأليف

عمر عبد الله الحلبي

دار النهضة

الإهداء

* إلى كلِّ مسلم محبٍّ لله ورسوله.

* إلى كلِّ مسلم يهتم بأمر هذا الدِّين.

"إن السفر طويل، والبحر عميق، والعقبة كؤود، والعدو لدود، والسوط مؤلم، والجاهلية مسعورة، و... ولن يقابلها إلا مسلمون واعون"

المقدمة

"إن عودة القيادة البشرية للمسلمين لن تكون إلا ببناء جيل قرآني واعٍ يحب الله ويطيعه ويحب الرسول ويتبعه"

تقدمة:

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وبعد:

إخوتي... أحبتي... تحية من عند الله مباركة، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

واعلموا:

* **أن القرآن الكريم**: هو دستورنا:

- وهو كتاب الله المنزل على رسولنا محمد ﷺ. والمنقول إلينا بالتواتر عن صحابة رسول الله عن جبريل عن الله عزَّ وجلَّ.

- وهو كتاب الله، فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل، ليس بالهزل، ما تركه من جبار إلا قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو

الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم.

* **وأن السنَّة النبوية الصحيحة:** هي سنّة رسولنا محمد ﷺ: قولية، أو فعلية، أو تقريرية، والتي وصلت إلينا عن طريق العدول، ووفق الله سبحانه من رصدها، ونقلها، وحافظ عليها.

* وأن **مبلّغي هذا الدِّين:** هم صحابة رسول الله ﷺ، رضوان الله تعالى عليهم، ولولاهم ما وصل إلينا من الدِّين أصلٌ ولا فرعٌ، ولا علمنا من الفرائض والسنن والأحاديث والأخبار شيئاً، والذين أمرنا نبيّنا محمد ﷺ بالإحسان إليهم، فقال: ((أحسنوا إلى أصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم...))[1].

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده رقم ١٧٢.

وهم خير الأصحاب، وخير الناس، فقال الله تعالى فيهم:

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩].

وهم الذين قالوا لنبيّنا محمد ﷺ: يا رسول امض لما أمرك الله فنحنُ معك.

* ثم إن انتشار الإسلام في شتى بقاع الأرض شرقاً وغرباً جاء نتيجة تبلغه من لدن الصحابة إلى عهد أسلافنا وأجدادنا، ولم يشعر العالم أجمع بالأمن والأمان إلا في ظل الإسلام، بعقيدته الصافية المتينة الثابتة الراسخة في الأعماق.

* إن الحقد على الإسلام والمسلمين من قبل أعداء الدِّين كان بسبب أن فتح المسلمون البلدان ونشروا العمران، وضاعت أملاك أعدائهم، فأخذوا يتحينون الفرص للقضاء علينا هنا وهناك... وتحت رايات شتى... فكادوا وخططوا

حتى ضاعت دولة الخلافة، وضاع المسلمون، وتحكَّم فيهم عدوهم...

* ولكن شاء الله سبحانه وتعالى أن يتم نوره ولو كره الكافرون، وصدق ربنا وعده، فبعد ضياع المسلمين وخلافتهم، وبعد أن أخذوا يلهثون وراء أعداء الدِّين... قيّض الله لهذا الدِّين رجالاً أشداء: صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فأعادوا لنا قرآننا الذي هُجر، وصلاتنا التي ماتت، وأعادوا لنا مجدنا الذي سُلب، وعزتنا التي هدمت، وكرامتنا التي ضاعت، فبدأت الصحوة الإسلامية (العودة إلى هذا الدِّين من جديد) في كل مكان، وبدأت النفوس تتحرك، والقيود تتكسر، وبدأت الأمة تنفض عن كواهلها التراب حتى ظهر الأمل الذي طالما انتظرناه، ووقفنا نرنوا إليه في الأفق.

* أيُّها المؤمن كن معنا ثَمَّ لأدلك على ثوابت هذا الدِّين العظيم... فالأمل معقود عليك الآن... ولتتسلم الراية...

وتتحمل مسؤولية هذا الدِّين (ذي العقيدة المتينة السليمة)، ولتسهم في عودة الحياة لأصالتها الإسلامية، وللقلوب خشوعها، وللصدور راحتها، و...

* ففي هذا الكتيب **(ثوابت.... حتى لا نغرق... في بحر من ورق)** ملخص لثوابت هذا الدِّين العظيم، والتي تدعو الحاجة والضرورة إلى معرفتها وتعلمها والتمسك بها والدعوة إلى معالمها، حتى نقوم.... وإذا لم نقم نحن بالعمل لهذا الدِّين، فمن الذي يقوم ؟! أيقوم المجتمع الفاسد ؟! أم الشارع المنحل ؟! أم وسائل الإعلام المنحطة ؟!

أم الأسر المتفككة ؟!

وهذه أهم الثوابت.. حتى لانغرق في بحر من ورق. لعلّنا نهتدي بها إلى الطريق القويم: طريق الإسلام العظيم، طريق الهدى والنور.

فما كان من توفيق وصواب فمن الله عزَّ وجلَّ، وما وقع

من خطأ أو تقصير فمن نفسي ومن الشيطان.

وأسأل الله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.

وأن ينفعنا به جميعاً.

إنه نعم المولى ونعم النصير.

وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين.

رمضان ١٤٢٦هـ

المؤلف

(١)

العقيدة (علم وعمل)

"جنسية المسلم عقيدته"

* العقيدة (علم وعمل):

إن أمر العقيدة شأنه عظيم، وإنه أول ما دعا إليه الأنبياء عليهم السلام، وإن على كلِّ مسلم أن يهتدي بهديهم ويقتدي بمنهجهم، وذلك بالتركيز على الجانب المهم، وهو العقيدة بكلِّ شمولها، فيتعلمها ويعمل بمقتضاها ويدعو إليها، ويصبر على ما يصنعه الباطل وأهله من عراقيل لتصده عنها، وأن يضحي من أجلها، ويصبر على ما يصيبه في سبيلها، فإن العاقبة للمتقين.

ثم إن إدراك هذا الثابت العقيدي أمر مهم جدّاً في زماننا اليوم، نظراً لما يشهده المسلم من كثرة المناهج، وتباين أهدافها ووسائلها.

وإن غياب هذا الثابت العقيدي أو الغفلة عنه نشأ عنه عدة مشارب ومدارس مختلفة، نظر كل منها إلى واقع الأمة، فشخص مرضها، وانطلق من خلال تشخيصه هذا في العلاج[٢].

---

(٢) لا يجوز لنا بحال أن نبخس هؤلاء حقهم، أو أن نتجاهل ماتقدمه تلك المدارس والمشارب من خير.

إلا أنه من النصح بين المسلمين ومن واجب التعاون على البر والتقوى يقتضي توجيه النصح لكلِّ تلك المدارس والمشارب أن ينتبهوا إلى أصل المرض قبل العرَض، كيف يكون ذلك؟

يكون من خلال التأكيد على العقيدة بكلِّ شمولها وضرورة البدء بها، وضرورة تعلمها وفهمها الفهم الذي يريده الله سبحانه وتعالى، ومن ثم ترجمة هذا الفهم وهذا العلم إلى صورة حيّة تستقر في القلوب وتتحرك في الواقع. أي أن يأخذ المسلم هذه العقيدة ليعقد عليها القلب ويغيّر بها الأعمال والمواقف ويجاهد في سبيلها حتى تتغيّر النفوس، ويكون الدِّين كله لله سبحانه وتعالى، وهذا الأمر يتطلب وقتاً وصبراً على هذا الوقت... فإن نوحاً عليه السلام لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين وهو يدعو إلى الله، وحياته كلها كانت صبر ومعاناة وتضحيات، فليوطن كل مسلم نفسه على الصبر والتضحية.

إذاً: "هكذا ينبغي أن تطول مرحلة بناء العقيدة، وأن تتم خطوات البناء على مهل وفي عمق وتثبت... ثم هكذا ينبغي ألا تكون مرحلة دراسة نظرية للعقيدة، بل يجب أن تكون مرحلة ترجمة لهذه العقيدة أولاً بأول في صورة حيّة... وخطأ وأي خطأ - بالقياس إلى الإسلام - أن تتبلور العقيدة في صورة (نظرية) مجردة للدراسة الذهنية... المعرفية الثقافية." أ.هـ.

والعقيدة أعني: الإيمان بأركانه الستة (أن: تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه ورسله وباليوم الآخر، وبالقدر كله من الله).

والعقيدة: هي العهد المشدود والعروة الوثقى، وذلك لاستقرارها في القلب، ورسوخها في الأعماق.

لقد أفرد الله سبحانه وتعالى للعقيدة مساحة واسعة من كتابه العظيم، وأعطاها فترة طويلة حتى تستقر في الأعماق وتعيش مع النفوس، فالفترة المكية (التي عاشها رسول الله مع صحبه الكرام) لا تكاد تخرج بنصوصها عن هذه القضية، ولا

تناقش إلا هذا الموضوع، لأن بناء النفوس بالعقيدة عملية بطيئة وشاقة[٣].

كذلك فإن استقرار العقيدة في الأفئدة يتوقف عليه تنفيذ جميع التشريعات، لذلك تأخر نزول التشريع إلى (المدينة) حتى تستقر العقيدة في نفوس الصحب الكرام رضوان الله تعالى عليهم ليقوموا على نصرة هذا الدِّين القويم.

والعقيدة: "تمثل الجذور لشجرة هذا الدِّين، وما لم تكن الجذور ضاربة في أعماق الأرض فإنها لن تحمل فروع هذه الشجرة الضخمة الباسقة".

والعقيدة: تمثل الأساس للبناء، والعمارة الضخمة لابد لها من أساس مكين وقاعدة صلبة حتى يستقر فوقها البناء. من العبث محاولة إشادة بناء ضخم بلا أساس مكين متين. وكذلك فالعمل الصالح لابد له من إيمان متمكن في جوانب النفس وأغوارها وأعماق الفؤاد ومسارب الضمير.

---

(٣) صحيح أنها بطيئة ولكنها أكيدة المفعول.

إذاً، لابد من البداية مع أي نفس ندعوها إلى هذا الدِّين أو نريد تربيتها على أساس الإسلام، من الإيمان أولاً وقبل كل شيء. خصوصاً في زماننا: الذي بهت فيه مفهوم العقيدة في نفوس أبنائه المنتسبين إلى الإسلام.

لابد: من انتهاج نفس الطريق الذي انتهجه رسول الله ﷺ من تثبيت العقيدة في النفس ثم يأتي بالذي بعدها أوَّلاً بأول.

وعلى هذا فإن كل الانحرافات التي يعانيها المسلمون (أفراداً وجماعات) راجعة بكليتها إلى الانحراف في القصور العقدي، فالناس بحاجة في هذا الزمان وكل زمان إلى بناء العقيدة من جديد وإلى تصحيح التصور العقدي، ولابد من إفراد الله سبحانه بالأُلوهية، ولابد من أن تستقر عظمة الله عزّ وجلّ في الأعماق، وأن يعمر النفوس حبُّه، ولامناص من أن تحيا القلوب وهي تستشعر هيبته وجلاله.

وللأسف الشديد أننا نجد صور مؤسفة يسير عليها **بعض القوم** من المسلمين بتعليم العقيدة، وذلك من خلال شحن الأذهان بمعلومات ومعارف كثيرة، ثم يؤدي الطلبة امتحاناتهم. ثم تطوى وتنسى، ولا يكون لها أثر في الضمائر والواقع، والذي أرجوه ألا يفهم عني بقولي: بضرورة التركيز على هذا الثابت (العقدي) والبدء به، يعني أنه إهمال الجوانب الأخرى من الدِّين، لا أبداً، وإنما ينبغي أن يكون له اهتمامه الخاص، لأنه لابد من إيقاظ جوانب الخير في هذا الدِّين بدءاً من الجانب العقيدي كما قلت، ثم تعليم الناس أحكام دينهم أولاً بأول، وتوعيتهم لما يدور حولهم من فساد في الأخلاق والسلوكيات وفي المناهج، وتوعيتهم لما يخطط لهم ويدبر تحت جنح الظلام.

فما أحوج كل مسلم في حياته إلى هذا الثابت المهم.

(٢)

الولاء والبراء حاجز منيع

" إن معقد الولاء والبراء هو الإسلام لا غير، وإن عقد الولاء والبراء على دون ذلك من أمور الجاهلية المفرقة للأمة"

*** الولاء والبراء (حاجز منيع):**

الولاء للحق والبراء من الباطل، والحقيقة أن هذا الثابت لا ينفصل عن الثابت العقيدي، لأنه لا عقيدة بدون ولاء وبراء.

بل إن كلمة التوحيد التي لا يدخل أحد في الإسلام إلا بها هي: ولاء وبراء، فنصفها ولاء والنصف الآخر براء.

فإن (لا إله) براءة من كل ما يُعبد من دون الله، و(إلا الله) ولاء وعبودية لله سبحانه.

الولاء: هو الدخول في الإيمان والإسلام والطاعة ونصرة الله ورسوله والمؤمنين.

البراء: هو الخروج من الكفر والشرك والمعصية، والتميُّز عن الكافرين المشركين العصاة.

التبرؤ من الجاهلية: يبدأ من القلب(٤) ويستقر فيه بالمفاصلة الشعورية والعداوة والبغضاء والإعراض الباطني،

---

(٤)- وهذا ثابت مهم.

ثم هو يظهر على أشده باللسان والجوارح في هجر الأرض وإعلان الحرب، وإهدار الدم والمال وقطع صلات القربى وروابط القوم والعشيرة، وبالتالي تصبح الرابطة (جنسية المسلم عقيدته) هي الأساس الثابت.

والتبرؤ: هو الهروب من دون الله إلى دين الله.

والولاء: يستكن في القلب نيّة ورغبة، وإخلاصاً ويظهر على اللسان قولاً وفعلاً وسلوكاً.

فإن هذا الثابت(٥) المهم من معالم الدِّين قد كان من صميم دعوة الأنبياء عليهم السلام، وهذا أساس تميُّزهم والمؤمنين معهم تجاه أقوامهم ومفاصلتهم لهم.

فالولاء والبراء في عقيدتنا ليست كلمة تقال باللسان ولكنها حقيقة عظيمة يلزم عنها لوازم ويترتب عليها تبعات وتضحيات باهظة. وليس هنا محط ذكرها، فلها كتب خاصة.

---

(٥)- أي: الولاء والبراء.

ولابد أن أشير إلى أن أعداء هذا الدِّين القويم ما فتئوا ومنذ زمن طويل يسلِّطون معاولَهم لتكسير (عقيدة الولاء والبراء) هذه، وذلك ليقينهم بأنه لا جدوى من خططهم ومكرهم ما دام هذا الحاجز العقيدي المنيع (عقيدة الولاء والبراء) موجوداً عند المسلمين.

فالحذر الحذر من خططهم ومكرهم وألاعيبهم. فتاريخهم في القديم والحديث معروف ومفضوح، فهم يراوحون في ذلك بين الترغيب والترهيب وذلك لزعزعة المسلم عن مبادئه وثوابته العقدية الناصعة، والتي أساسها الصلب (عقيدة الولاء والبراء) فإذا اهتز هذا الأساس عند المسلم اختلطت الأمور وضاع الهدف، (فعلى الدنيا السلام كما يقال).

يقول أحد المستشرقين:

(إننا في كل بلد إسلامي دخلنا ونبشنا الأرض لنحصل على تراث الحضارات القديمة قبل الإسلام، ولسنا نعتقد أن

المسلم يترك دينه، ولكنه يكفينا منه تذبذب ولائه بين الإسلام وتلك الحضارات).

فبالرغم من وضوح هذا الثابت المهم (عقيدة الولاء والبراء) في القرآن الكريم، ورغم بداهته في حس الأجيال المسلمة الأولى وتابعيهم إلا أنه في زماننا تعرض لحملات شرسة من التشكيك والتهوين تولاها تلاميذ الشرق وصرعى الاستغراب.

وللأسف الشديد أنهم نجحوا إلى حدٍ بعيد في إضعاف هذا الحاجز، والتهوين من شأنه، لأننا أصبحنا نسمع بين الحين والآخر أصواتاً لفحيح الأفاعي تنادي: مرة بالتسامح الدِّيني، ومرة بزمالة الأديان، وأخرى بالتعايش السلمي، وغيرها كاحترام حرية التعبير، و...

وأرى أنه على كل مسلم أن يهتم بهذا الثابت المهم من معالم التوحيد العقيدي، بداية من نفسه، وأولاده، ومن

حوله، ومقاومة وفضح ما ينقضه في مجتمعات المسلمين اليوم.

وهناك صور خطيرة من صور موالاة أعداء الدِّين والتي ظهرت في زماننا الحاضر، كذلك ليس هنا محطّ ذكرها، فلها كتب خاصة.

ولكن الحذر كل الحذر من أن يعطي المسلم ولاءه ومحبته وعاطفته لمن يحادد الله ورسوله، بحجة أن بعض أهل الخير وقع في خطأ ما...

وعلى كلٍّ من ينتسب إلى هذا الدِّين الإسلامي العظيم أن يراجع قلبه ويتبين موقفه ويتحسس موقعه: من يوالي اليوم؛ أهل الإيمان أم أهل الشيطان؟ وأين قلبه ومودته مع أهل الحق أم مع أهل الباطل؟ وأن يسأل المسلم نفسه من يظاهر ويعين ويناصر ويؤيد ويكثِّر أهل الله أم أهل أعدائه؟

وعلى المسلم الحق الذي منَّ الله سبحانه وتعالى عليه بفهم هذا الثابت (عقيدة الولاء والبراء) أن يتميَّز به ويبذل قصارى

جهده للتحرك بهذا الثابت المهم، وأن يصبر على تبعاته، وأن لا يستطول الطريق ولا الوقت الذي يمضي في تقريره.

وللأسف الشديد أن (عقيدة الولاء والبراء) لازالت غير واضحة (أو متميعة) في بعض النفوس المسلمة كظهور كثير من الصور الصارخة لموالاة أعداء هذا الدِّين ومحبتهم وتقريبهم!!!

فكيف نطلب النصر من عند الله و(عقيدة الولاء والبراء) لم ترسخ بعد في قلوب المسلمين خاصة فضلاً عن عامة الناس؟

لقد وعى الرعيل الأول من أصحاب رسول الله ﷺ هذه الحقيقة، فانتصر ولاء العقيدة على كلِّ اعتبار آخر، وقهروا روابط الدم والنسب والعشيرة عندما وقفت في وجه الإيمان.

فما أحوج كل مسلم في حياته إلى هذا الثابت المهم.

(٣)
القرآن الكريم (منهج حياة)

" لقد صلح أول هذه الأمة بالقرآن ، ولن يصلح الآخرون إلا بما صلح به الأولون "

* القرآن الكريم (منهج حياة):

إنَّ القرآن الكريم هو كتاب الله المنزل على رسولنا محمد ﷺ، والمنقول إلينا بالتواتر عن صحابة رسول الله عن رسول الله عن جبريل عن الله عزَّ وجلَّ.

إنه كتاب الله: فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، ما تركه من جبار إلا قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لاتزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم.

والقرآن الكريم هو أول العلوم وأصلها وأسُّها الأعظم، هو كتاب الله العزيز، وهو كلام الله سبحانه وتعالى، المنزل على

رسوله محمد ﷺ، المتعبَد بتلاوته، المعجز بكلِّ آية فيه، وهو أول كتاب ينبغي الاطلاع عليه وقراءته[٦]، والعمل بما جاء فيه، وعلينا أن نغتنم ما وضعه الله سبحانه في هذا القرآن من العلم والأجر، فإنه يشتمل على كلِّ ما يصلح الإنسان في دينه ودنياه.

كما أن القرآن الكريم لم يترك صغيرةً ولا كبيرةً إلا عالجها وذكر حُكمها وحِكَمها، ولم تفسد دنيا من فسدت دنياهم إلا حينما تركوا تطبيق ما جاء في القرآن الكريم، خاصة عندما فصلوا بين الدِّين والدنيا، حينها عاشوا حياة ملؤها المشاكل والصراعات، فما أن يصنعوا قانوناً بشرياً حتى يتعارض مع قانون آخر أو يتعارض مع هوى أنفسهم فيتركوه إلى قانون آخر

---

(٦) - ألا نجعل قراءته من خصائص شهر رمضان المبارك فقط.
للأسف الشديد أنك تجد الكثير يهجر القرآن طوال العام، حتى إذا جاء رمضان شمَّر عن ساعديه واجتهد في قراءته. وتجد الكثير من يهمه الكم من الصفحات، ولا يهمه الكيف في الفهم والتدبر.

وهكذا... وما ذلك إلا لأنهم رضوا لأنفسهم ما لم يرضه الله سبحانه من الأحكام والقوانين الوضعية البشرية، وبهذا العمل يكونوا قد خرجوا من دائرة الإيمان، لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

إذاً: عندما نعمل بما جاء به القرآن في كافة شؤون ديننا ودنيانا نجد لذة وحلاوة الإيمان، ونجد السعادة الحقيقية، ونجد الاستقرار النفسي والأمني.

كما أن القرآن يستخدم وسائل شتى وأساليب متنوعة:

١ - لتوضيح العقيدة السليمة، وتصحيح الانحرافات التي يقع فيها الناس حين تستولي عليهم الجاهلية وتبعدهم عن الهدى الرباني.

٢ - ولتثبيت هذه العقيدة وتعميق أثرها في النفس البشرية.

من هذه الأساليب والوسائل:

١ - إثارة الوجدان الإنساني لتدبر آيات الله في الكون، وإزالة التبلد الذي يقع في حس الإنسان من المشاهد المكررة.

٢ - إثارة العقل الإنساني ليتفكر في خلق الله، ليدرك أن لهذا الكون خالقاً. وأنه لا يمكن أن يكون له شريك في الخلق ولا في الرزق ولا في تدبير الأمور.

٣ - مواجهة الإنسان بحقيقة ما يدور في داخل نفسه وقت الشدة من اللجوء إلى الله، ومن الغفلة والنسيان والبغي في الأرض بغير الحق بمجرد زوال الأزمة ونجاته من الخطر؛ فالقرآن يذكره بها ليصحح سلوكه تجاهه سبحانه.

٤ - مناقشة الانحرافات التي يقع فيها الجاهليون. ودحضها وبيان تفاهتها، وعدم قيامها على أي أساس صحيح.

٥ - التذكير الدائم بقدرة الله سبحانه، التي لا تُحد وعظمته وجلاله حتى يخشع القلب ويستسلم لله.

٦- التذكير الدائم بأن الله مع الإنسان يراه ويراقبه ثم يحاسبه يوم القيامة على ما عمل من خير أو شر، وأنه سبحانه لا يخفى عليه من عمل الإنسان شيء حتى السر وما هو أخفى من السر.

٧- التذكير الدائم بالله سبحانه وتعالى في حالتي السراء والضراء.

٨- إيراد القصص التي تثبت الإيمان، بذكر الأنبياء وصبرهم على الأذى ونصر الله لهم في النهاية، وذكر الكفار وعنادهم وتدمير الله لهم في النهاية.

٩- رسم الصور المحبّبة للمؤمنين وصفاتهم وما ينالهم من جزاء ثواب. ورسم الصور المنفّرة للكافرين وما ينالهم من جزاء عقاب.

بهذه الوسائل والأساليب يصل القرآن إلى تثبيت الإيمان في القلب المؤمن، وذلك حين يحس الإنسان:

- بوجود الله سبحانه في كل لحظة.

- بآيات القدرة في كل شيء في الكون من حوله وفي ذات نفسه.

- أنَّ ماضي البشرية كله كان يهيمن عليه قدر الله وتدبيره، وأن الحاضر والمستقبل كذلك.

- أنَّ الدنيا والآخرة ملك لله.

- أنَّ أعماله كلها محسوبة عليه وسيحاسب عليها.

- ويرى صور الرسل الكرام الواردة في كتاب الله، وصبرهم وتضحياتهم.

- ويرى صور المؤمنين كريمة نظيفة جذابة، وصور الكافرين قبيحة منفِّرة.

حينئذٍ يمتلىء قلب الإنسان المؤمن بخشية الله وتقواه، وبالتطلع في ذات الوقت إلى حبه ورضاه.

وهذا هو الإيمان الصادق الذي يحبه الله، وقرِّب به عبده إليه فيصبح واحداً من أولياء الله المؤمنين.

إذاً: لا غنى للمسلم عن مصاحبة القرآن وتلاوته.

فالتلاوة ذاتها عبادة، والقرآن هو الكتاب الوحيد المتعبد بتلاوته.. الذي يكتب لقارئه أجره على كلِّ حرف منه يتلوه.

ولكن كيف نقرأ القرآن ؟

هل نقرؤه لمجرد التلاوة(٧) ؟

هل نقرؤه لنذكر الآخرة ونذكر الموت ونذكر البعث والجزاء ؟

---

(٧)- ليس حق التلاوة هو إجادة الحروف ومعرفة الوقوف.

وللأسف الشديد أن أصبح علم التجويد هو نموذج التلاوة الحقة !!! إضافة على ذلك: أن الكثير من المسلمين (للأسف) يقرأ القرآن للتبرك لا للتحرك.

على عكس الصحابة رضوان الله عليهم، فقد فهموا وظيفة القراءة وأدركوها حقيقة دون زيفٍ أو توهم، وفهمهم كان (التلقي للتنفيذ).

قال الشاعر:

فثوروا لمدٍّ وقلقلة ... وصف ذا ثنا ثمَّ نم في اغتراب

فلوكوا الحروف وألقوا المعاني ... ولوكوا القشور وألقوا اللباب

غناء الحروف يسرُّ الطغاة ... وعمق المعاني يجرُّ العذاب

هل نقرؤه لنعجب ببلاغته وجمال عباراته وألفاظه ؟

هل نقرؤه لنستخرج منه أبحاثاً ودراسات ؟

هل نقرؤه لنصوغ منه نظريات سياسية واقتصادية وتربوية ونفسية ؟

هل نقرؤه لنتخيّر منه مواعظ أخلاقية نحفظ بها أنفسنا، أو نعظ بها الناس ؟

فلنصنع من ذلك ما نشاء... لا ضير. فأيّاً كان هدف التلاوة فإن الله يكتب عليها الأجر، ،طالما كان التوجه فيها إليه سبحانه والرغبة فيها إلى الله. ولكن الأجر يتفاوت على قدر ما في التلاوة من التدبر الذي أمر الله به، وعلى قدر ما يؤدي التدبر إلى الغاية المطلوبة منه. فليس التدبر غاية في حد ذاته، وإنما هو وسيلة لأمر عظيم يراد، وهو: أن يتحول الاستماع إلى القرآن وتلاوته والتأثر الخاشع به إلى ﴿هُدًى﴾... إلى سلوك ملتزم بما أنزل الله في هذا القرآن.

أي أن يتحول القرآن إلى منهج حياة.

وبعبارة أخرى: أن يكون القرآن هو دليل المرحلة للإنسان في هذه الحياة.

ثم إنَّ القرآن هو أساس العلوم الشرعية واللغوية و.. لذلك ينبغي العناية بحفظه وفهمه وتدبره، ودوام مراجعته لئلا يُنسى. فإما أن يراجع القرآن مرة كل شهر، بأن يراجع جزءاً في اليوم، وإما أن يراجع القرآن مرة كل أسبوعين، بأن يراجع جزأين في اليوم، وإما أن يراجع القرآن مرة كل عشرة أيام أو كل أسبوع. ومن قرأ القرآن في أكثر من أربعين يوماً نُسي. فينبغي أن يراجع القرآن في أقل من ذلك حتى لا ينسى.

وعلوم القرآن كثيرة: منها التجويد، آداب التلاوة، علوم القرآن (الناسخ والمنسوخ، أسباب النزول...)، التفسير وأصوله، غريب القرآن، إعراب القرآن، البحث والتجميع. وليس هنا محط ذكرها، فلها كتب خاصة.

*التاريخ (لتحصيل العبرة واكتساب الخبرة):

إن التاريخ لتحصيل العبرة واكتساب الخبرة، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ [محمد: ١٠].

ويقول الله تهديداً للكافرين:

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [غافر: ٢١-٢٢].

إن دراسة التاريخ أمر شرعي لا يقل عن علم الفقه، وعلم تفسير القرآن الكريم، وعلم الحديث النبوي الصحيح، وهو أول ما يحثنا القرآن على دراسته لأخذ العظات والعبر فيما ورد في ثنايا صفحات التاريخ الحافلة من قصص الأمم والملوك والأقوام والرسل والمصلحين و... والطغاة في هذا الكون الفسيح..

ولا بد لي من أن أذَّكر بأهمية دراسة نوع من هذه القصص، وهو سقوط وانهيار دولة وقيام أخرى كما حصل عند انهيار دولة الشرك والجاهلية وقيام الدولة الإسلامية الأولى على يد رسول البشرية محمد ﷺ وخلفائه الراشدين ومن بعدهم، ألم يكن ذلك وفق سنن طبيعية وحركة بشرية إيمانية واعية؟

هكذا تكون العبرة والعظة والفائدة من دراسة التاريخ كما يقول ابن القيِّم: (... بعد ذلك إذا تأملت أخبار الأمم وأيام الله في أهل طاعته وأهل معصيته طابق ذلك ما علمته من القرآن والسنَّة.. ؟!).

ونذكِّر بأن الرسول عليه الصلاة والسلام نحى المنحى القرآني نفسه في الدعوة إلى الاعتبار بالأولين، والعظة من تجاربهم، وذلك حينما كان يوظف الحدث الماضي من قصص حية مرَّغبة ومرَّهبة، آمرة وناهية، كقصة أصحاب الأخدود و...

وإذا كان لا بد من دراسة التاريخ فالأولى بالمسلمين دراسة

تاريخهم وتاريخ دولتهم الإسلامية الأولى وقيامها: دراسة واعية ناضجة، وتقديمه للنشء المسلم.

لقد نسي أو تناسى البعض ما يفعله الحكام من تحريف للتاريخ ليكون لصالحهم أو ما تفعله الأحزاب السياسية من تلوين للتاريخ، ليكون وفق نظرياتها وتوجيهاتها، أو ما يفعله من يدعون أنفسهم بالمفكرين الذين يريدون صبغ التاريخ ليوافق انتماءاتهم، وهم في ذلك المنحى يعملون على إبراز أحداث معينة وإخفاء أحداث أخرى، وتوسيع مساحات معينة وتضييق مساحات أخرى، وقلب الحقائق إلى أباطيل والأباطيل إلى حقائق.

كما أن التاريخ الدقيق المفصل لكلِّ التفاصيل والجزئيات لا ينطبق على الأقوام السابقين لأخذ العبرة الصحيحة واكتساب الخبرة، لأنهم وجدوا وعاشوا أو ماتوا قبل المؤرِّخين المعنيين بالتفاصيل والجزئيات...

والتأريخ مولود حديث العهد، وفاتَه كثيرٌ من التفصيلات،

ويستحيل على المؤرِّخين معرفتها والجزم بها!! فمن أين للتاريخ أن يكون مصدراً للتشريع (كما يدعي البعض من القوم). أو أن يكون التاريخ مصدراً للعلم اليقيني أو المعرفي!! لا يمكن ذلك لأنه يعتريه النقص والخطأ.

وعندما يأتي الحديث عن التاريخ البشري (الركام الكبير من الأخبار والأقوال غير الموثوقة) وقصوره في شموله للأحداث، نجده وقد فاته كثير من الأحداث والتفاصيل حتى أصبح ما يسمى بالحلقات المفقودة في التاريخ، حيث اختص الله بعلمها، ونفى سبحانه وتعالى عن أحد من البشر إمكانية علمه بها، فكيف إذن نعطي الشمولية للتاريخ، وأنه مصدر للمعرفة (كما يدعي البعض من القوم).

وعندما يدعونا (البعض من القوم) إلى دراسة التاريخ هكذا دون ضوابط، فهنا تكمن الطامة، وأي تاريخ يدعونا لدراسته؟! ليتهم قالوا بدراسة التاريخ الإسلامي، إنما قالوا

بدراسة التاريخ البشري الذي يعتريه النقص من جهة، وكثير من الحلقات المفقودة من جهة أخرى، فأقول لهم قوله تعالى:

﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٢].

إذن لا يجوز لنا أن نأخذ التاريخ لا من (تونبي) ولا من (كانت) ولا من (سبنسر) ولا من (سقراط)، ولا من ... إضافة إلى أن أكثر ما يدعوننا إليه هؤلاء (البعض من القوم) دراسة التاريخ الغربي (صناعة الكفرة من اليهود والنصارى في الغرب) فهل هؤلاء أمناء على إيراد التاريخ ؟!. وبما أنهم غير أمناء (كما أرى) فكيف نأخذ التاريخ عنهم ؟ خصوصاً وأنهم (أي اليهود والنصارى في الغرب) ضالّون ومزيفون!! فهم يتركون الحق عامدين، ويتبعون الباطل قاصدين!! فأين الثقة فيما يوردونه عن التاريخ ؟!! إذن الميزان في التحقق من حوادث التاريخ هو: (الكتاب - كتاب الله عزَّ وجلَّ - والسنّة النبوية الصحيحة، سنّة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام).

ويجدر بنا التساؤل التالي: ما الدافع وراء دعوة هؤلاء (البعض من القوم) لندرس التاريخ هكذا دون منهجية، مع التركيز بقولهم: (بأن الذي سيعلمنا ليس القرآن إنما حوادث التاريخ هي التي ستعلمنا). لا شك إنها دعوة تفلُّتية من كلِّ القيود، وتحللية من كلِّ منهجية.

وللحقيقة أقول: إنه لا حلَّ لمشاكلنا خاصة، ومشاكل المجتمع الإنساني عامة، إلا بعد قيام الدولة الإسلامية العالمية، كما قامت الدولة الإسلامية الأولى على يد الرسول ﷺ وصحبه الكرام رضوان الله تعالى عليهم.

إن أسلوب كتابة التاريخ والسير: خاصة تاريخ فترات القوة والعزة الإسلامية حيث يُخيَّل للبعض أنها فترات خالية من الهفوات والأخطاء أو العيوب ...

إن أسلوب كتابة التاريخ الإسلامي يجب أن يكون شاملاً ليكون سجلاً حقيقياً لهؤلاء البشر المسلمين على حالهم وعلى

طبيعتهم، فلا تبرز الحسنات وتخفى السيئات.

لا يُتَحدَّث عن الانتصارات ويغض الطرف عن الهزائم بتفاصيلها..

إن تفاصيل الهزيمة في أُحد هامة كأخبار الانتصار في بدر..

هذا درس نافع ومفيد مثل سابقه..

تفاصيل هزيمة المسلمين في نهاية حكم الأندلس مهمة، كتفاصيل فتح الأندلس، وتفاصيل انهيار الدولة العثمانية هامة، كتفاصيل قيامها...

وعلى المسلم أن يحمد الله على عزائم تاريخه الإسلامي، وينظر بالإغضاء إلى ما فيه من ضعف وهفوة لا مستحسناً ولا مصوّباً، يعني إذا انتُقدنا في بعض مظاهر هذا الضعف فليكن بمنظار الفقيه المسلم لا بمنظار العلمانيين وأشباههم....

فإن كان آخر خلفاء بني عثمان يمثلون ضعف التاريخ في التاريخ الإسلامي إلا أنهم لا يمثلون ذلَّه، وفرق بين الأمرين.

ومنذ أن خلت الساحة من الأخيار بقيت أمتنا دويلات يتناوب عليها الأجنبي المباشر تارة أو على من ربّاه هذا الأجنبي... حتى الغزو الفكري في كلّ مراحله مستمر جوهره متقلب منظره.

كما أن هناك فترات مضيئة في تاريخ المسلمين، وارتبطت هذه دائماً بتجديد الدِّين وظهور السنَّة؛ كما ظهر في عصر عمر بن عبد العزيز ونور الدِّين محمود زنكي وغيرهما، فإنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

وأما ما يخص مصادر دراسة التاريخ فليس هنا محلُّ ذكره، وله كتب خاصة.

وكذلك أترك للقارئ البحث في الموضوعات التاريخية المتشعبة والمتنوعة نظراً لعدم وجود متسع لمناقشتها (القواعد العامة لفهم التاريخ، والتاريخ الإسلامي، والتاريخ الدولي الحديث، والواقع المعاصر).

ثم إن التاريخ منذ القدم، وفي هذا العصر يعدُّ من أهم وسائل التوعية والتوجيه الفكري والتربوي، والتاريخ الإسلامي في عمومه سار على موازين الكتاب والسنّة ولا سيما في القرون الثلاثة الأولى، فكان الصواب فيه والرشاد والعدل هو الأصل، وإن حصل الخطأ فهو على الاستثناء، يؤكد ذلك النتاج الفكري والسياسي والاجتماعي والاقتصادي والعسكري لتلك القرون، لا يماري في ذلك نبيه منصف، وعلى هذا فالتحرز من الرواة والروايات التي تطعن برجال تلك القرون، ومن يقتدي بهم إلى هذا العصر وما بعده، هو الأصل والصواب، وتصديق تلك الروايات المريبة هو الاستثناء.

فالعصر الراشدي هو امتداد للعصر النبوي، ومن لا يرضى عصر النبوة فهو خارج إطار التاريخ الإسلامي، والعصر الأموي هو وريث العصر الراشدي بكلِّ قيمه ومفاهيمه،

فـالطعن بالعـصر الأمـوي هـو مفتـاح الطعـن بـأزهى عـصور الإشراق الحضاري الإسلامي، عصر العدل والقيم والقوة.

وعلى هذا الأساس يتكون لدى وارث التاريخ الإسلامي ثابت مهم ومشرق لا لبس فيه ولا غموض، يصلح أن يكون مرجعاً للعاملين في حقول التأسيس والإصلاح.

ومن هنا يمكن القول: بأن التاريخ الإسلامي تاريخ غني وعميق وعريق، له من الأهمية مكان الذروة في إعادة الأمة فكرياً وسياسياً.

ونظراً لأهمية التاريخ الإسلامي وسموِّ أغراضه، ونبل مقاصده وكثرة فوائده وتنوع التآليف فيه وشمولها لعامة النشاطات البشرية، لا بد من منهج تقوّم على ضوئه الأحداث والمواقف التاريخية. وتتضح على أساس ذلك المنهج حركة التاريخ الإسلامي في إشراقها وإخفاقها على مرِّ العصور. ومن لم يفقه تاريخ خير القرون (تاريخ الصحابة) لا يصلح لأن

يكتب التاريخ الإسلامي، وإن نشاطاته التاريخية والفكرية عرضة للشك والريب، إما لجهله أو لسوء مقاصده وفساد نيّته.

إذ إن الصحابة هم واضعوا أساس تاريخ هذه الأمة على أسس متينة وصحيحة وعلمية، فالنيل منهم يعارض الحقيقة والصواب في كلِّ المراحل التاريخية التي خاضتها الأمة الإسلامية.

وللأسف الشديد: **أنّ التاريخ الإسلامي لم يكتب بأيدي أبنائه.**

لذلك نقول: **إنه لا يصلح لكتابته إلا من يؤمن به ويجلُّ بناته وحماته.**

ومن لا يثق برواة صحاح السنَّة النبوية لا يمكن أن يوثق برواياته في التاريخ الإسلامي، وأنه في موطن الشك والريبة مهما اتسع علمه وكثرت رواياته، لأنه فاقد للإنصاف والموضوعية.

وللتأكيد نقول: إن رفض الكتابات التي لا يؤمن أصحابها

بالكتاب والسنّة وما تفرع عنهما من علوم هو منهج علمي لا عاطفة فيه، ولا هوى، وأن من وسائل بناء وإصلاح التاريخ الإسلامي: أن يدرسه ويكتبه وينشره ويفسِّره ويعلمه أهله المؤمنون به والمعتزون بموروثه.

وهذا يستوجب على قارئ التاريخ الإسلامي الحذر الشديد من مكائد الوضاعين، وتحليلات المندسين، والمستشرقين بكلٍّ أصنافهم، والعلمانيين بكلٍّ أوصافهم. لأن لأعمالهم ودسائسهم في التاريخ نتائج خطيرة على صلة المسلمين بدينهم وعلى ترابطهم ووحدتهم وأخوتهم.

ونظراً لما نشاهده من التحريف المعاصر لأحداث التاريخ الإسلامي توجّب العمل الجاد والمباشر في تدوين قواعد علمية ثابتة وأصيلة لكتابة التاريخ الإسلامي، ليظهر من خلالها الزيف الذي طال الكثير من مراحله ومفاصله، وتزيل الذي لحق به، فيصبح القارئ على بيِّنة من أمره فيما يقبل أو يرفض،

يقبل كلَّ عظيم إنجازات وكريم خصال، ويرفض كلَّ زيف وبهتان شوه سير وتاريخ الكرام من أبناء تاريخنا الإسلامي.

التاريخ الإسلامي (ثابت مهم) يسجل المواقف، فيستجلب أصحاب المواقف الصحيحة الشجاعة لأنفسهم الذكر الجميل والرحمات، وأصحاب المواقف المخزية الخزي والعار واللعنات على مرِّ الأجيال.

وما أحوج كل مسلم في حياته إلى هذا الثابت المهم[٩].

---

(٩) - لأخذ العبرة واكتساب الخبرة.

(٥)

سيرة نبينا محمد ﷺ

(نبراس ودرب)

"فالشريعة قد اكتملت بوفاته ﷺ،

وما كان واجباً على المسلمين يوم وفاته

فهو واجب عليهم إلى يوم القيامة".

* سيرة النبيّ محمد ﷺ (نبراس ودرب):

ما أحوجنا في هذا الزمن العصيب المؤلم إلى دراسة سيرة نبينا محمد ﷺ دراسة جادة واعية، وتحقيق رواياتها، وتنقيحها والتعمق فيها، وربطها بالواقع، واستلهام الدروس والمواعظ والعبر منها؛ لأن سيرته وسنّته ﷺ ليست مجرد أحداث وقصص وقعت وانتهت، أو أن تقرأ للتمتع والتسلية، أو للتبرك أو المعرفة والترف الفكري، بل الأمر يتعدى ذلك وهو أكبر من ذلك وأعظم، بل إن الواجب أن تكون سيرته ﷺ نبراساً ونوراً نستضيء به، ودرباً نسير عليه، ونطبقه في عالم واقعنا المأساوي الممزق. فهي التفسير العملي للقرآن والمثال الواضح على قيام الدولة الإسلامية.

ثم إن سيرته ﷺ ينبغي أن تكون حياة مثالية، وقدوة حسنة لنا جميعاً، صغاراً وكباراً، رجالاً ونساءً، حكّاماً ومحكومين، ومثقفين وعامة، وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه

العزيز بأن نقتدي برسولنا محمد ﷺ، فقال سبحانه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

قد يقول قائل: ما فائدة دراسة هذا الثابت المهم (سيرته ﷺ) وواقعنا المؤلم يطغى وينذر بالخطر، فأقول: البشرى يا مسلمون... التفاؤل يا مسلمون... فاشتداد الظلمة يؤذن بطلوع فجر جديد:

والليل مهما طال فجرٌ بعده   والقيد مهما اشتد يوماً يكسر

ليس هذا استقراءً يا مسلمون... يا موحدون، إنما هي حقيقة بيّنها لنا رب العزة، فقال: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [يوسف: ١١٠].

ثم إن لهذا الثابت المهم (سيرته ﷺ) خصائص تبين منهجه، وتتجلى في أنه:

- منهج مسدد بالوحي في منطلقاته وأهدافه وثوابته، وأصوله، وأسسه، ومرتكزاته.
- منهج شامل ومتكامل يستقصي الأمور المهمة: علماً وعملاً وفكراً وسلوكاً، وعقيدة وشريعة، كما يضبط السلوك ويحكم الحركة أثناء التعامل مع عظائم الأمور وصغائر الأشياء.
- منهج يعلم المسلم كيف يتعامل مع الواقع بالمعرفة العميقة والفحص الدقيق لاستقراء المناط الحقيقي ليتنزل عليه حكمه الصحيح لإصابة الحكم الشرعي المطالب به إزاء هذا الواقع.

إن هذا المنهج هو الإطار الوحيد الذي لا يملك أي مسلم يبتغي النجاة في الدنيا والآخرة أن يخرج عليه لما يؤدي إليه هذا الإطار من تأصيل متابعة الرسول صلى عليه وسلم، والتي هي صمام الأمان من الزيغ والانحراف، وما يؤدي إليه من مقاصد

شرعية ومصالح معتبرة تسدد خطوات المسلمين للوصول إلى هدفهم المنشود، وهو التمكين لدين الله في الأرض.

ولما كانت سيرته ﷺ هي التطبيق الواقعي لمنهجه ﷺ في الدعوة إلى الله، فمن البديهي بلورة أسس ومعالم هذا المنهج من خلال وقائعها وأحداثها.

إن تسلسل الأحداث من بداية الوحي إلى دار الأرقم، إلى الصدع بالدعوة إلى الحصار في شعب أبي طالب، إلى دعوة القبائل وطلب النصرة، ثم الهجرة وما تلاها من بدر إلى أُحد، إلى يوم الأحزاب، ثم من الحديبية والفتح إلى تبوك، وما تخلل ذلك من أحداث ومواقف إنما كانت تسير في الأصل وفق تدبير إلهي ولطف رباني:

الوحي ينزل آمراً وموجهاً، وأحياناً معاتباً، وأحياناً أخرى محذِّراً.

النبيُّ ﷺ يسير واثقاً ومصمِّماً، فيقول ﷺ: ((أنا عبد الله

ورسوله، لن أخالف أمره ولن يضيعني))[١٠].

الصحابة واثقون كلَّ الثقة، بل مؤمنون كلَّ الإيمان بقيادته ﷺ وتوجيه وعالمون أن متابعته والاعتصام بهديه هي قضية إيمان أو كفر أو نفاق.

أما نحن في زماننا المعاصر فعلينا أن نترسم خُطاه ﷺ (علماً، وتربية و...) مع مراعاة:

تغير وسائل وأدوات العصر.

البعد عن التفسير الحرفي أو المنحرف لمفهوم المرحلية ما بين عهد مكي وعهد مدني، و الخلط بين المفهومين، كما يحصل لدى كتَّاب (فقه السيرة).

إذ وقع خلط كبير في هذا الأمر، والحقيقة التي أراها أنه لا يوجد في الفقه والأحكام شيء اسمه العهد المكي والعهد المدني، فالشريعة اكتملت بوفاته ﷺ، وما كان واجباً على

---

(١٠)- رواه البخاري برقم (٣١٨٢)، وأحمد في المسند.

المسلمين يوم وفاته فهو واجب عليهم إلى يوم القيامة.

وقد اعتنى البعض بذكر الأحكام الفقهية المستفادة من بعض أحداث السيرة فأتركها لأنه ليس هنا محلُّ ذكرها الآن.

والفقه له أدلة معروفة وهي الكتاب والسنّة والقياس الصحيح والإجماع المعتبر، و..

وكتب العلماء فيما يتعلق بشخصية النبي محمد ﷺ من جوانب عدة، وهذه الكتابات منها ما هو مدرج ضمن علوم أخرى، ومنها ما كتب استقلالاً في هذا الشأن. وكذلك أترك القارئ المسلم الرجوع إليها إذا أحب، فهي مدرجة في كتب خاصة...

فمنهم من سرد أحداث السيرة النبوية على السنين.

ومنهم من كتب في صفاته وأخلاقه وهديه ﷺ.

ومنهم من كتب في خصائصه وحقوقه على المسلمين.

ومنهم من كتب في دلائل النبوة.

ومنهم من كتب في الفقه المستخلص من سيرته ﷺ.

ولا يحتجّ أحد بشيء من أحداث السيرة إلا ما عُلم صحته، على أن تكون له دراية بقواعد الاستنباط من النصوص.

فما أحوج كل مسلم في حياته إلى هذا الثابت المهم.

(٦)

السنة النبوية

(تبيان ودفاع)

"مذكرتنا التوضيحية: هي سنّة نبيِّنا محمد ﷺ الفعلية، والقولية، والتقريرية، التي انتقلت إلينا عن طريق العدول، وقيض الله سبحانه من رصدها ونقلها وحافظ عليها"

*** السنَّة النبوية الصحيحة:**

السنّة النبوية الصحيحة: هي كل ما أثر عن النبي محمد ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، وجب علينا الإطلاع على سنّته والعمل بما جاء فيها من أوامر ونواهٍ، وذلك عملاً:

بقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

وقوله سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

إن بعض ما جاء في القرآن الكريم من أحكام جاء مجملاً، ولذلك حتى نستطيع أن نعلم تفاصيل وجزئيات تلك الأحكام لا بد من الرجوع إلى سنّته ﷺ، ونكون بذلك قد تعرفنا على كلِّ دقيقة وجليلة من أمور ديننا معرفة جلية واضحة.

وعلينا أن نتعلم السنَّة النبوية الصحيحة، وأن نتعبد الله سبحانه بتعلمنا إياها، وأن نقتدي بالصحابة رضوان الله تعالى

عليهم في تنفيذهم لأوامر نبينا محمد ﷺ، ولعلَّ الكتب المعروفة في علوم الحديث أكثر مما دوِّن في غيره من علوم الشريعة، ولما كانت (علوم الحديث) هي حصيلة جهود العلماء في حفظ السنَّة النبوية، فينبغي علينا أن نقف على هذه الجهود ولو باختصار.

وتسمى كتب علم الحديث (رواية) وكتب السنَّة (أصلية، تابعة).

فالأصلية: منها:

مؤلفة في الحديث خاصة، كالصحاح والسنن والموطأ والمسند والمعجم..

مؤلفة في علوم أخرى (كالاعتقاد والفقه والتفسير في علوم الرقائق...) وهذه مؤلفة في علوم غير الحديث. إلا أن مؤلفيها عندما يستدلون ببعض الأحاديث يروونها بأسانيدها إلى النبيِّ ﷺ.

التابعة: هـي الكتـب التـي يـذكر مؤلفوهـا الأحاديـث لا بأسانيدها الخاصة وإنما يعزونها إلى رواية أصحاب كتب السنَّة الأصلية، كجامع الأصول، ومجمع الزوائد وغيرهما.

وسنّة المـصطفى ﷺ الفعليـة والقوليـة والتقريريـة والتـي انتقلت إلينا عن طريق العدول، وقيَّض الله سبحانه وتعالى من رصدها ونقلها وحافظ عليها حتى كانوا يقولون: (ضحك ﷺ حتـى بـدت نواجـذه)، (كـان واقفـاً فاضـطجع، وكـان جالـساً فاعتدل)، (واحمرَّ وجهه حتى بدا الغضب عليه)، (كان خُلُقه القرآن).....

لولا الصحابة ما علمنا مـن الفـرائض والـسنّة والأحاديـث والأخبار شيئاً..

ثم رزق الله هذه الأمة من العلماء المخلصين الـذين حفظـوا لنـا الـسنَّة كالبخـاري ومـسلم وأصـحاب الـسنن، وابـن حنبـل

الذي ضُرب بالسوط في محنة خلق القرآن ليقول بخلقه[11].

ولقد شبَّه الرسول عليه الصلاة والسلام العباد حسب استفادتهم من هديه النبوي (سنّته) بالأرض التي يسقط عليها الماء، فبعضها طيب ينزل عليها الماء فيعطي الزرع الوفير، وبعضها يحتجز الماء فينتفع منه الناس، وبعضها - والعياذ بالله - أرض خبيثة لا تنبت الزرع ولا تمسك الماء، فهي أرض فاسدة لا تنتفع بالهدى ولا تنفع به غيرها.

وعلى المسلم الذي رضي بالرسول ﷺ محمداً نبيّاً ورسولاً أن يحكِّمه في كلٍّ حياته، ويكون مسروراً بطاعته.

---

(١١) - محنة خلق القرآن: هي محنة تعرض لها المجتمع المسلم في عهد الإمام أحمد ابن حنبل فشاعت فرية أن القرآن مخلوق، وأقحمت الساسةُ العامةَ في هذه المحنة، وراح ضحيتها مسلمون كثيرون، وجاء العلماء ليدافعوا عن العقيدة، فقُتل منهم من قُتل بالتعذيب، وصمد الإمام أحمد ابن حنبل حتى زالت الفتنة، وعادت إلى الأمة عقيدتها الصافية.

فإذا كنت أيها المسلم تقيم سنّة رسول الله ﷺ، وتحب من يحيي سنّته ويقيمها، وتنادي بتطبيق شريعة دينه، فإنَّك تجد نفسك تلقائياً تقف مع من يحْيون سنّته، ويتشبهون به ﷺ وبصحابته، فالصحابة كلُّهم عدول، وهم خير الناس وخير الأصحاب. إنهم قوم اختارهم الله لصحبة نبيّه وحمل رسالته.

فسنّة النبي ﷺ توضح لك معالم الطريق إلى جنة الخلد، والخلق العظيم في أسمى صورة.

ثمَّ كانت السنَّة وما زالت تتعرض للطعن والتشكيك من الزنادقة قديماً وحديثاً، وذلك إما بالطعن مباشرة في بعض الأحاديث أو بالطعن بالصحابة الذين نقلوا السنَّة إلينا.

حيث كان مقصود الزنادقة إسقاط الاحتجاج بالسنّة (المصدر الثاني للتشريع) ليتمكنوا من تأويل الآيات القرآنية كما يحلوا لهم، وكما تساير أهواءهم.

ودورهم إما أن يسعوا في إسقاط الاحتجاج بالسنّة، وإما

* شعار المسلم وأهل الضرار (شارات):

- **شعار المسلم:**

إن الشعار ليس جديداً في حياة الناس، فلكلٍّ دين أو مذهب أو إيدلوجية شعار، بل ربما لكلٍّ مؤسسة علمية أكاديمية شعار ما، وقد يكون هذا الشعار ذا مدلول تاريخي أو ذا مضمون فكري أو تعليمي أو قد يكون جامعاً للمضمونين معاً.

ومن شعار المسلم ألا يتشبه بأعداء الله وأعداء أمته في ملبس أو مأكل أو مشرب أو هيئة.

فهذا الشعار جزء من الهوية الإسلامية... لأن منطوق النص الشرعي أكدَّ مخالفة اليهود والنصارى وحرَّم التشبه بالكفار، وسيادة النص الشرعي عنصر من عناصر هويته.

كما أن من دوافع التشبه في أغلب العادة المحبة والإعجاب، وليس لأعداء الله وأعداء الأمة أي مكان في قلب

المسلم من المحبة والإعجاب، وعلى فرض أنه وجد في حياة أعداء الله إيجابية، فعلى المسلم أن يشدّ مئزره حتى يحصلها دون أن ينفسخ من شعاره أو يتنازل عن شيء من هويته قيد أنملة.

ثم إن تصميم المسلم على شعاره هو أول عمل إيجابي له لتحقيق وجوده الدنيوي من خلال هويته، كما أنه أول صفعة يلطم بها وجه أعدائه، فلا يُطمع منه بمزيد من الانقياد فيذل فكره ويهين عقيدته وتاريخه ونخوته كما في واقعنا الراهن سياسياً وعسكرياً واقتصادياً وعلمياً....

وللتأكيد: إن السعي إلى سلخ المسلم عن شعاره وهويته مؤامرة مدبرة، حذَّرنا منها عزَّوجل حين أخبر رسولنا محمد ﷺ (**والخطاب للأمة كذلك**)، فقال سبحانه: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وإن إطاعتهم (أي الكفار) ضلال، ولكن الهدى هدى الله تعالى.

- **أهل الضرار :**

إن أهل الضرار داء خطير، فإذا تعرض أحد لعدواه كان أشد فتكاً به من الطاعون، ومرض عضال لا ينجو من وبائه إلا من أدركته رحمة الله.

والمنافقون ألدُّ أعداء الله، فمن هلك منهم فهو في الدرك الأسفل من النار، وأما الأحياء منهم فهم طغاة مفسدون استحوذ عليهم الشيطان فأُشربوا حبه وحب مسالكه وأهدافه.

ولقد تداعى المصلحون المخلصون من أهل الإسلام إلى فضح ظاهرتهم هذه حيث أخذوا يتدارسون أخطر ظاهرة مُني بها المسلمون في تاريخهم (أهل الضرار) لما وجدوا هذه الظاهرة أشد خبثاً وأسوأ أثراً من مثيلاتها في المجتمع المسلم...

وفي زماننا هذا ازدهرت تجارتهم وراجت بضاعتهم وكثر أتباعهم فأشادوا مساجدهم هنا وهناك، وذرفوا دموع التماسيح على الإسلام وأهله، بل وتظاهروا بالإسلام وركبوا

موجةً خطط لها أسيادهم من محبي الشيطان ومسالكه وأهدافه وأعوانه...

ولم يكن لينجح هؤلاء (أهل الضرار) في تحقيق أهدافهم ومخططاتهم لولا تفشي الجهل وفقدان الوعي والابتعاد عن الفهم الصحيح عند أكثر المسلمين فما عاد كثير من المسلمين يفرّق بين الغث والسمين ولا بين النافع والضار.

فالمطلوب من كلِّ مسلم (قادر) أن يهتك أستار (أهل الضرار) ويكشف أسرارهم ويفضح أساليبهم وأفكارهم وأوكارهم: وهذا العمل ليس بالأمر السهل وإنما تحتاج معرفتهم إلى طول زمن وخبرة بعيد الأمد، وعمق في فهم الأمور وحسن الإحاطة بهم، كما أن هذا العمل جدُّ خطير، لأنه يأتيك بعضهم فيقول: (أنا مسلم أصلِّي وأصوم... أو أنا مُكره على هذا العمل، ولا أستطيع التخلي عنه و...)، والكلُّ يعلم بأنه كاذب منافق وإن صام وصلّى... لأنه حينما يجلس

بين أيدي أسياده تجده يقول قولاً آخر. فتراه مؤيداً ومباركاً لكلِّ خطوة يخطوها هؤلاء الأسياد، ولو كان فيها دمار المسلمين، أو القضاء على شباب المسلمين، وتجده يسارع في تطبيق ما يؤمر به من أسياده دون تردد أو تذمر: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ [البقرة: ١٤].

كما يجب على كلِّ مسلم (قادر): أن يبصِّر المسلمين بأمور دينهم ومشاكل مجتمعهم وأن يؤكد على التمسك بثوابت دينهم، وأن يبين لهم: أن قضايا (أهل الضرار) لم تتغير في جوهرها وأركانها، وإذا كان هناك من تغيير طفيف فهو في الأسلوب والتطبيق ليس إلا.

تُرى لو أن أسياد (أهل الضرار) في الأرض منعت الرواتب عن (أهل الضرار) من الوعّاظ أو المدرسين وخطباء الجمعة، كم عدد الذين سيستمرون منهم في عملهم لوجه الله ؟!!.

تُرى لو أن أسياد (أهل الضرار) في الأرض منعت المكافآت عن (أهل الضرار) من الموجهين والمدرسين والوعّاظ الذي يتحدثون في الإذاعة والتلفاز والقنوات الفضائية، هل يستمرون في عملهم هذا ؟!!.

و(أهل الضرار) كلهم عشّاق زعامة، وعبيد مصالح، ولا يقصِّرون في امتطاء كل مركب يضمن لهم السيادة...

خاتمة

"أيها المسلم الحبيب:

أنت ثمرة من ثمار هذه الثوابت.. وعطائها الطيب.."

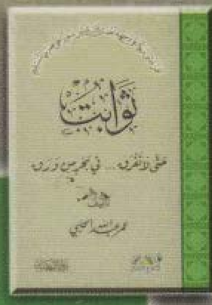
"إن تعدد المشارب.. ومصادر الثقافة.. وتبيان الآراء.. يحتاج المسلم إلى تربية وتوجيه ورعاية.. وتمسك بمثل هذه الثوابت.. حتى لا يغرق في بحر من ورق.."

خاتمة:

ويعد أن أنهيت الحديث عن الثوابت... التي تطرقت إليها، لا بد أن أشير إلى كثير من الموضوعات المهمة والتي تعتبر من الثوابت...سوف أرجئ الحديث عنها في كتابٍ لاحقٍ إن شاء الله، منها:

- قضية الإيمان ونواقضه.
- اللغة العربية ومكانتها من العلوم الشرعية.
- الفقه وأصوله.
- موضوعات فقهية هامة متفرقة، كالسياسة الشرعية، والجهاد في سبيل الله، ووجوب التحاكم إلى الشريعة الإسلامية...
- الاهتمام بدراسة مخططات أعداء الدِّين.. وإعطاء الأهمية للظروف الدولية في النواحي السياسية والاقتصادية و..
- مسألة معاصرة، يجب معرفتها ومعرفة الموقف منها...(الديمقراطية)
- واقع المسلمين المعاصر.
- ثوابت فكرية...

الفهرست



هذا الكتاب

يبينّ:

❖ أهم ثوابت هذا الدين العظيم ..... حتى نقوم ... وإذا لم نقم بالعمل لهذا الدّين فمن الذي يقوم ؟

❖ أنه بمعرفتنا لهذه الثوابت ...والعمل بمقتضاها ...

نكون قد اهتدينا إلى الطريق القويم: طريق الإسلام. طريق الهدى والنور.

❖ أنه من تمسك بهذه الثوابت فقد سما على السحاب ومن تركها خاض في مجاهيل الحياة .

المشرق للكتاب

دمشق حلبوني

هاتف ٢٤٥٢٨٣٥ جوال ٦٦٩٥٩٥ ٠٩٤